هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾.

﴿فكهين﴾ ملتذين بذكرهم والسخرية منهم، أي: ينسبون المسلمين إلى الضلال.

وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾.

﴿وما أرسلوا﴾ على المسلمين ﴿حافظين﴾ موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو هو من جملة قول الكفار: وإنهم إذا رأوا المسلمين قالوا: إنّ هؤلاء لضالون، وإنهم لم يرسلوا عليهم حافظين إنكارًا لصدّهم إياهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وجدّهم في ذلك.

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾.

﴿على الأرائك ينظرون﴾ حال من يضحكون أي: يضحكون أي: يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الأرائك آمنون. وقيل: يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم: أخرجوا إليها، فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارًا فيضحك المؤمنون منهم.

هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾.

ثوب وأثابه بمعنى إذا جازاه. قال أوس:

سأجزيك أو يجزيك عني مثوّب ... وحسبك أن يثني عليك وتحمدي

وقرئ: بإدغام اللام في الثاء، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة انشقت مكية

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾.

حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب، أو اكتفاءً بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار، وقيل: جوابها ما دل عليه فملاقيه أي: إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه، ومعناه: إذا انشقت بالغمام. كقوله تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء﴾[2] بالغمام، وعن علي رضي الله عنه: تنشق من المجرة.

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾.

أذن له، استمع له[3]: ومنه قوله عليه السلام: ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن[4]. وقول جحاف بن حكيم: أذنت لكم لما سمعت هريركم. والمعنى: أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع. كقوله: ﴿أتينا طائعين﴾[5] ﴿وحقت﴾ من قولك: هو محقوق بكذا وحقيق به، يعني: وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع، ومعناه: الإيذان بأنّ القادر بالذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك.

وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾.

﴿مدت﴾ من مد الشيء فامتد، وهو أن تذال جبالها وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها. كما قال تعالى: قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مدت مد الأديم العكاظي، لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى، أو من مد بمعنى: أمده، أي: زيدت سعة وبسطة.

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾.

﴿وألقت ما فيها﴾ ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز. ﴿وتخلت﴾ وخلت غايةً، والخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو، كما يقال: تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما.

﴿وأذنت لربها﴾ في إلقاء ما في بطنها وتخليها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾.

الكدح: جهد النفس في العمل والكدّ فيه حتى يؤثر فيها، من كدح جلده إذا خدشه. ومعنى: ﴿كادح إلى ربك﴾ جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء. ﴿فملاقيه﴾ فملاقٍ له لا محالة لا مفر لك منه. وقيل: الضمير في ملاقيه للكدح.

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾.

﴿يسيرًا﴾ سهلاً هينًا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه، كما يناقش أصحاب الشمال. وعن عائشة رضي الله عنها: هو أن يعرّف ذنوبه ثم يتجاوز عنه.

---

(1) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/ 174.

(2) سورة الفرقان، الآية: 25.

(3) قال أحمد: ننص تفسير الآية بقوله: القادر بالذات وما بابه لا يقول: القادر الذي عمت قدرته الكائنات، حتى لا كون إلا بقدرته حقيق أن = يسمع له ويطاع، فيثبت لله صفة الكمال، ويوحده حق توحيده، وهو خير من سلب صفة الكمال عن الله تعالى، وإشراك مخلوقاته به جل ربنا وعز.

(4) تقدم في سورة إبراهيم.

(5) سورة فصلت، الآية: 11.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من يحاسب يعذب». فقيل[1]: يا رسول الله فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا. قال: «ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب».

وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾.

﴿إلى أهله﴾ إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله في الجنة من الحور العين.

وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾.

﴿وراء ظهره﴾ قيل: تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. وقيل: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره.

فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾.

﴿يدعو ثبورًا﴾ يقول: يا ثبوراه والثبور الهلاك.

وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾.

وقرئ: **﴿ويصلى سعيرًا﴾** كقوله **﴿وتصلية جحيم﴾**[2] ويصلى بضم الياء والتخفيف. كقوله: **﴿ونصله جهنم﴾**[3] **﴿في أهله﴾** فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعًا مسرورين، يعني: أنه كان في الدنيا مترفًا بطرًا مستبشرًا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب، ولم يكن كئيبًا حزينًا متفكرًا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين.

إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾.

﴿ظن أن لن يحور﴾ لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبًا بالمعاد. يقال: لا يحور ولا يحول. أي لا يرجع ولا يتغير، قال لبيد: يحور رمادًا بعد إذ هو ساطع. وعن ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابيةً تقول لبنية لها: حوري. أي: ارجعي.

بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾.

﴿بلى﴾ إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي: بلى ليحورن. **﴿إنّ ربه كان به بصيرا﴾** وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها. وقيل: نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأشد وأخيه الأسود بن عبد الأشد.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾.

الشفق: الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس، وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء، إلا ما يروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه في إحدى الروايتين أنه البياض، وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمى لرقته، ومنه الشفقة على الإنسان رقة القلب عليه.

وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾.

﴿وما وسق﴾ وما جمع وضم. يقال: وسقه فاتسق واستوسق. قال: مستوسقات لو يجدن سائقًا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع. ومعناه: وما جمعه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها.

وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾.

﴿إذا اتسق﴾ إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة.

لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾.

قرئ: لتركبن على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان، ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لأن النداء للجنس، ولتركبن بالكسر على خطاب النفس، وليركبن بالياء على ليركبن الإنسان. والطبق ما طابق غيره. يقال: ما هذا بطبق لذا. أي: لا يطابقه، ومنه قيل للغطاء: الطبق. وإطباق الثرى ما تطابق منه. ثم قيل للحال المطابقة لغيرها: طبق، ومنه قوله عز وعلا: **﴿طبقًا عن طبق﴾** أي: حالاً بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدّة والهول، ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة. من قولهم: هو على طبقات، ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقةً على معنى لتركبن أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدّة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها.

فإن قُلْتَ: ما محل عن طبق؟ **قُلْتُ:** النصب على أنه صفة لطبقًا، أي: طبقًا مجاوزًا لطبق، أو حال من الضمير في لتركبن، أي: لتركبن طبقًا مجاوزين لطبق، أو مجاوزةً على حسب القراءة. وعن مكحول: كل عشرين عامًا تجدون أمرًا لم تكونوا عليه.

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾.

﴿لا يسجدون﴾ لا يستكينون ولا يخضعون، وقيل: قرأ رسول الله ﷺ ذات يوم: واسجد، واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت[4] وبه احتج أبو حنيفة رضي الله عنه على وجوب السجدة، وعن ابن عباس: ليس في المفصل سجدة. وعن

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه (الحديث رقم: 103) وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة، باب: إثبات الحساب (الحديث رقم: 79 ـ 2876).

(2) سورة الواقعة، الآية: 94.

(3) سورة النساء، الآية: 115.

(4) لم يخرجه الزيلعي.

أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد فيها. وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها[1]. وعن أنس: صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان فسجدوا. وعن الحسن: هي غير واجبة.

﴿الذين كفروا﴾ إشارةً إلى المنكورين.

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾.

﴿بما يوعون﴾ بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء.

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾.

أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من العذاب.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾.

﴿إلا الذين آمنوا﴾ استثناء منقطع. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البروج مكية

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾.

هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه، وقيل: البروج النجوم التي هي منازل القمر، وقيل: عظام الكواكب سميت بروجًا لظهورها، وقيل: أبواب السماء.

وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾.

﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة.

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾.

﴿وشاهد ومشهود﴾ يعني: وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه. والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم، وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما: إما ما نكرته في قوله علمت نفس ما أحضرت، كأنه قيل: وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود، وإما الإبهام في الوصف، كأنه قيل: وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما، وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل: الشاهد والمشهود محمد ﷺ ويوم القيامة، وقيل: عيسى وأمّته. لقوله: وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم. وقيل: أمّة محمد وسائر الأمم. وقيل: يوم التروية ويوم عرفة. وقيل: يوم عرفة ويوم الجمعة، وقيل: الحجر الأسود والحجيج. وقيل: الأيام والليالي وبنو آدم. وعن الحسن: ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يعمل فيّ شهيد، فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة، وقيل: الحفظة وبنو آدم، وقيل: الأنبياء ومحمد عليه السلام.

قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾.

فإن قُلْتَ: أين جواب القسم؟ **قُلْتُ:** محذوف يدل عليه قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾. كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونين. يعني: كفار قريش، كما لعن أصحاب الأخدود. وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة، وتنكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وإلحاق أنواع الأذى وصبرهم وثباتهم، حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحروقين بالنار ملعونين أحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش، كما قيل: قتل أصحاب الأخدود. وقتل دعاء عليهم، كقوله: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾[3] وقرئ: ﴿قتل﴾ بالتشديد، والأخدود: الخدّ في الأرض وهو الشقّ ونحوهما بناء ومعنى الخق والأخقوق ومنه فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان. روي عن النبي ﷺ أنه قال: كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضمّ إليه غلامًا ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه. فرأى في طريقه ذات يوم دابةً قد حبست الناس فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان الراهب أحبّ إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها، فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء. وعمي جليس للملك فأبراه فأبصره الملك فسأله فقال: من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربي. فغضب فعذبه، فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه، فقدّ بالمنشار وأبى الغلام. فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه، فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا. فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد، وتصلبني على جزع، وتأخذ سهمًا من كنانتي، وتقول بسم الله رب الغلام، ثم ترميني به. فرماه، فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك: نزل بك ما كنت تحذر. فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها، حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: سجود القرآن، باب: سجدة إذا السماء انشقت (الحديث رقم: 1074)، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة (الحديث رقم: 1018 ـ 578).

(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/ 178.

(3) سورة عبس، الآية: 17.